الباب الخامس
حقوق القرآن علينا

* **الحق الأول: حسن الإنصات والاستماع إليه.**

عن عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ قالت: أبطأتُ على عهد رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئتُ فقال: «**أين كنتِ؟**»، قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحدٍ، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**»[١].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**»[٢].

ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به: احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض المسلمين اليوم. فمن ذلك اجتناب الضحك، واللغط، والحديث في خلال القراءة، إلا كلاما يضطر إليه، وليتمثل قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

الآية وإن نزلت في شأن الاستماع للقرآن من الإمام في الصلاة إلا أن بعض المفسرين أطلق الحكم في الاستماع للقرآن أيضا خارج الصلاة، فتعظيم القرآن في الحالين هو المقصود، ولا يتم كمال التعظيم إلا بحسن الإنصات والاستماع.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. قال ابن جرير الطبري: «عن

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، بابٌ في حسن الصوت بالقرآن، برقم: (١٣٣٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (١/ ٣٩٨).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، بابٌ في حسن الصوت بالقرآن، برقم: (١٣٣٩)، وصححه الألباني، في صحيح ابن ماجه: (١/ ٣٩٨).

قتادة، في قوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا»(١). فهذا شأن الجن وحسن أدبهم وتوقيرهم وتعظيمهم لما تلي عليهم من آيات الله، وكانت الثمرة من هذا الإنصات هو التدبر والفهم المقتضي للعمل بما سمعوه، وهذا الفهم الصحيح هو الذي دفعهم إلى الدعوة إلى الله حبا للخير وشفقة على قومهم وقياما بحق البلاغ والدعوة، وهذا شأن المؤمن في القيام بواجب النصيحة وأمانة الدعوة إلى الله.

* **الحق الثاني: حسن التلاوة والقراءة.**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ [النمل: ٩١-٩٢]. أي وأُمرت أن أتلو القرآن، قال ابن كثير: «أي أتلوه على الناس وأُبلغهم إياه»(٢).

أي أنا مبلغ ومنذر والمقصود أن النبي ﷺ أُمر بتلاوة القرآن لنفسه ولأمته ولتبليغه للناس وبيانه ولتحريك القلوب به وإحياء النفوس به بإذن الله عز وجل وقد جاء في دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

فالتلاوة هي الطريق إلى هذا العلم والجسر إلى ذلك الفهم، وهي الباب الذي يلج منه الإنسان إلى تأثر قلبه وميل نفسه وهداية عقله واستقامة سلوكه بالقرآن الكريم: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

---

(١) تفسير الطبري: (٦/ ٦٨١).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٦٦).

ولنقف مع الأجر ولننظر إلى الأثر ولنعرف الآداب ولنجتنب المحاذير في شأن تلاوة القرآن. أما الأجر فتأتينا الآيات التي تُهيّج النفوس المؤمنة والقلوب المُحبة المتشوقة إلى مثوبة الله ورضوانه :

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]. قال ابن كثير: «أي يرجون ثوابا عند الله لابد من حصوله..وفي.. فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة»(١).

وعن عائشة رَحِمَهَاللَّهُ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة»** الذي يحسن التلاوة ويجيدها تصحيحاً وترتيلاً مع السفرة الكرام البررة منْزلته مع الملائكة الأطهار في منزلة عالية سمواً بإيمانه وارتفاعاً وقرباً لصلته بالله عز وجل ورفعة لمنزلته وتعظيماً لأجره، قال النووي: (قال القاضي يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم)(٢). **«والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران»**(٣). قال النووي: (وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته)(٤).

الذي يُعاني مشقة في القراءة فهو لا يُجيدها ولا يُحسنها فليقبل على القراءة فإن الله

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٥٥٥).

(٢) شرح صحيح الإمام مسلم للنووي: (٦ / ٨٤).

(٣) أخرجه مسلم: (٧٩٨)، والترمذي: (٢٩٠٤)، وأبو داود :(١٤٥٤).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي: (٦ / ٨٥).

عز وجل يُعظم له أجره ويكون له أجر المشقة وأجر التلاوة بإذن الله.

وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفا حرفا»(١). وعن ابن عباس رحمه الله قال: (لأنْ أقرأ سورة أرتّلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله).

والترتيل غير التجويد، فالأول: مستحب لما فيه من التدبر والتفكر، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ وأما التجويد: هو إعطاء كل حرف حقه ومستحقه.

قال الإمام السيوطي: «ولاشك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده، هم متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية، وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا»(٢).

*** الحق الثالث: حسن التدبر والفهم.**

والمراد بالتدبر: تفهّم المعاني وتدبر المقاصد ليحصل الاتعاظ ويقع العمل.

التدبر في القرآن غاية من غايات إنزاله: يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. ومدح الحق جل وعلا من تدبر وانتفع، فذكر من صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣].

وذم من لا يتدبرون القرآن وأنكر عليهم فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

التدبر من علامات الإيمان: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

---

(١) سبق تخريجه. وقد رواه أبو داود والنسائي والترمذي. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (١ / ٢٨٢).

obeikandl.com

جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١].

التدبر يزيد الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

تدبر القرآن من النصيحة لكتاب الله: قال ﷺ: **«الدين النصيحة»**، قلنا لمن؟ قال: **«لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»**(١).

ترك التدبر يؤدي إلى قسوة القلب: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. وهو من أنواع هجر القرآن الذي شكاه النبي ﷺ لربه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

فمن آداب التلاوة أن يتدبر القرآن عند تلاوته، وهذا يكاد يكون أهم آداب التلاوة على الإطلاق، والتدبر هو الثمرة الحقيقية لتلاوة القرآن الكريم، وهذا الموضوع يتضمن عدة أشياء:

١- أنه يُفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى وفضله ولطفه بخلقه، عندما أنزل علينا هذا الكتاب، وجعله لنا ميسرا للذكر والفهم، فإن القرآن عظيم، لأنه كلام الله، والله عز وجل عظيم، ولولا أن الله يسّر لنا تلاوة كتابه لما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله الذي لو نزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]. ولولا أنه جعله مُيسراً ما استطعنا تلاوته ولا حفظه ولا فهمه ؛ لأنه فوق عقولنا، لكن الله سبحانه وتعالى سهَّله وقرَّبه لنا، وجعله بلغة العرب وهي أكمل لغات العالم.

---

(١) سبق تخريجه.

٢- وكذلك فإن من التدبر أن يُحضر الإنسان في قلبه عظمة المتكلم وهو الله سبحانه وتعالى. فتعظيم الكلام تعظيمٌ للمتكلم، وينبغي لتالي القرآن أن يستشعر عند قراءته أنه يقرأ كلام الخالق القادر الرازق المهيمن، فالكون كله في قبضته، وتحت مشيئته وقدرته، والخلق مترددون بين فضله ورحمته ونقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله.

٣- وكذلك مِنْ تدبر القرآن: أن يحضر قلبه ويترك حديث النفس، قال الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]. أي: بجدٍ واجتهاد، وأخذه بالجد أن يكون متجرداً عند قراءته، منصرف الهمة إلى القرآن فقط، مفرغاً لذهنه وقلبه من أي شواغل أخرى غير القرآن، وقيل لبعض السلف: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: وأي شيءٌ أحب إليّ من القرآن حتى أحدث به نفسي! وكان بعض السلف إذا قرأ آيةً لم يكن قلبه فيها -أي: سها- أثناء القراءة أعادها ثانيةً، وهذه الصفة هي صفة حضور القلب، وتتولد من استشعار عظمة المتكلم، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يركز فكره وعقله فيه، ويفرغ قلبه له، كيف لو جاءته رسالة من ملكٍ عظيم أو رئيسٍ كبير لوجدت قلبه منشغلاً بفحو الرسالة والكلام، ويُعيد القراءة ويمعن النظر فيها، لأن الرسالة من عظيم، لو جاءته رسالة من الملك، لركزَّ فيها وأعاد النظر، وقرأها عدة مرات، واهتم لها أشد الاهتمام، فكيف وهذه الرسالة من ملك الملوك !!

ولا خير في تلاوةٍ لا تدبر فيها، كما ورد عن بعض السلف، فليتدبر ولكن لو كان يتابع الإمام في القراءة فإنه يتدبر في الآيات التي يقرأها الإمام وإن تعدى الإمام لآياتٍ أخرى تبعه بالتدبر ولا يبقى في تدبر آيةٍ سابقة، والإمام يواصل القراءة في آيةٍ جديدة، لكنه إذا قرأ لنفسه تدبر، وإذا وجد مجالاً للتدبر في آية لم يجاوزها إلى غيرها، فإن النبي ﷺ قام ليلة بآيةٍ واحدة: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] هذه الآية جاءت في حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أن النبي ﷺ: قام فينا ليلة بآيةٍ

يرددها). وقام تميم الداري رضي الله عنه ليلةً بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. وقام سعيد بن جبير ليلةً يردد هذه الآية: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]. وقال بعضهم: إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر. أي: بعض ما أجد فيها يشغلني عن إتمامها والفراغ منها حتى يطلع الفجر.

٤- ويدخل في التدبر كذلك أن ينظر في أفعال الله عز وجل من خلق السماوات والأرض، وخلق العرش، وأن كل شيء هالكٌ إلا وجهه، وإذا قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨]. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١] فإنه لا شك يتأمل في ذلك، وبالذات التي فيها ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧] أي: الآيات التي فيها دعوة للتأمل والتدبر فلابد أن يكون فيها مزيد من الاعتناء بهذا الموضوع، وكذلك ذكر العجائب التي خلقها الله سبحانه وتعالى، ومبثوثة في آياته، وأحوال الأنبياء، كيف كذبوا وكيف ضربوا وقُتِلَ بعضهم، فيفهم صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرُسل، وأنه لو شاء لأهلك من في الأرض جميعاً، وأهلك المسيح بن مريم وأمه، ولكنه سبحانه وتعالى أرسلهم ونصرهم وهو الغني عن الرسل لكن أرسلهم ونصرهم على عدوه وعدوهم. وإذا مرَّ بذكر المكذبين كعادٍ وثمود وما جرى عليهم، وكيف أهلك الله قوم شعيب بعذاب يوم الظلة الذي جاء من فوقهم مثل السحاب، ثم قصفهم بصواعق أحرقتهم.

٥- وكذلك يتأمل ما في هذا القرآن من الختم والطبع على قلوب الذين لا يفقهون ولا يعقلون، ويدعو الله ألا يكون منهم ؛ لأن الذين طبع الله على قلوبهم غير موفقين ولا مؤهلين لتدبر القرآن، ويندرج تحت التدبر التخلي عن موانع الفهم التي تمنع الفهم،

فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن بأسباب، وحجب من الشيطان ؛ فعميت عليهم عجائب القرآن فصاروا لا يفهمون ولا يفقهون منه شيئاً، كأنه بالنسبة لهم طلاسم وألغاز. ومن الموانع التي تمنع وتحجب الفهم :

أ- الكبر والاستعلاء وغرور النفس: حيث ترى أنها بعلمها وذكائها وما وصلت إليه من تقدم وحضارة أرقى من التدبر في كتاب أنزل من قرون، ونسي هؤلاء أن هذا الكتاب هو كتاب رب العالمين وليس من خيال بشر ولا من تأليف إنسان، قال ربنا سبحانه: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦-١٤٧].

قال القرطبي في تفسيرها: «قال قتادة: سأمنعهم فهم كتابي. وقاله سفيان بن عيينة. وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها. وقيل: سأصرفهم عن نفعها وذلك مجازاة على تكبرهم. نظيره: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ ﴾ [الصف: ٥]. والآيات على هذا المعجزات أو الكتب المنزلة. وقيل: خلق السماوات والأرض. أي أصرفهم عن الاعتبار بها. ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ يرون أنهم أفضل الخلق. وهذا ظن باطل فلهذا قال: ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ فلا يتبعون نبيا ولا يصغون إليه لتكبرهم»(١).

ب- الغفلة: فالمشغول بشهواته وملذاته وطعامه وشرابه تحول الشهوة بينه وبين الفهم والتدبر، لأن القلب المشغول بغير الله لا يتوجه إلى فهم كلام الله، وفي هذا يقول ابن القيم في أول كتاب «الفوائد» تحت عنوان شروط الانتفاع بالقرآن :

«إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، وأحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك، على

(١) تفسير القرطبي: (٧/ ١٨٠).

لسان رسوله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق: ٣٧].

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتقاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه، وأدله على المراد.فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ها هنا وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]. أي حي القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام. وقوله: ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب

قال ابن قتيبة: «استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه. وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب، وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله. فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتقى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الإنتفاع والتذكر»(١).

ويقول ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٧]:

«يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة، فهم لذلك مكذبون

(١) الفوائد لابن القيم: (٧ – ٨).

بالثواب والعقاب، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضا من الآخرة، مطمئنين إليها ساكنين. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ﴾ عن آيات الله، وهي أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده في إخلاص العبادة له ﴿غَٰفِلُونَ﴾ معرضون عنها لاهون، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه، فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون. وقال قتادة: إذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح، ولها يحزن، ولها يسخط، ولها يرضى»[١].

ج – العناية باللفظ دون المعنى: أن يكون التأمل مقصوراً على إخراج الحروف من مخارجها دون التدبر في المعاني، فيكون كل همه في تجويد الحرف، نعم هذا يكون – أحياناً– عندما يجلس إلى شيخٍ يقرأ عليه، لكن لا يكون همه دائماً في إقامة الحروف وينسى المعانى.

د – التواني والكسل وضعف الهمة: فهذه أيضاً من الأشياء التي تمنع الفهم، فإن بعض الناس يقولون: لسنا بأهل للتدبر في القرآن، ذلك للأئمة وكبار العلماء، أما نحن فنقرأ فقط ولا يجوز لنا أن نفهم أو أن نُعمل فكرنا فيه، فتقعد بهم هممهم عن إمعان النظر ومحاولة الفهم والتدبر وإعمال العقل لاستنباط الدروس والعبر، ولا حرج عليهم إن التبس عليهم فهم آية أن يسألوا عنها كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم.

هـ– الذنوب والمعاصي والإصرار عليها: هذه من موانع الفهم للقرآن، فإن الإنسان لو كان متصفاً بكبرٍ، أو مبتلىً بهوى، فإن ذلك يسبب ظلمة القلب وصدأه، والمرآة صدأها يمنع رؤية الصورة جلية، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، فكلما كانت المرآة نظيفة كانت المعاني التي تظهر في الصور أوضح. ولذلك فإن الله قال: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق: ٨] فإذا لم يكن منيباً لم يكن القرآن له تبصرةً ولا ذكراً. وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا

(١) تفسير الطبري: (٤ / ٢٦٦).

﴿يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، فالذين لا ينيبون وليسوا في مقام الإنابة لا يفهمون القرآن.

٦- ومن شروط التدبر: أن يسمع من أحد العلماء الثقات أو يقرأ تفسيراً للقرآن، كيف يتدبر وهو لا يعرف المعنى من كلام أهل العلم؟ هل يريد أن يفهمه وحده؟ هل له علم باللغة العربية أو لسانه سليم بالسليقة؟ هل عايش التنزيل؟ كلا. هل هو عالم؟ كثيرٌ من الناس ليس عندهم هذه الشروط مطلقاً. إذاً: كيف يتدبر وهو لا يعرف ما قاله أهل العلم في الآية؟ هل يتدبر من تلقاء نفسه؟

قد يفهم الإنسان أشياء كثيرة خطأ ؛ بسبب جهله باللغة، وبأسباب النزول.. ونحو ذلك. إذاً لا يمكن أن يأتي التدبر إلا بعد قراءة التفسير، كتفسير ابن كثير ففيه تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بأقوال الصحابة ومن تبعهم من التابعين أهل العلم، كما جاء عن مجاهد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإن مجاهد عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، يستوقفه عند كل آيةٍ يسأله عنها، وهذا منثور في كتب التفاسير المعتمدة الأخرى أيضا مثل: تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير البغوي، فهؤلاء ينقلون أقوال الصحابة والتابعين في تأويل آي القرآن، وهذا كله لا يغني عن سؤال العلماء ومجالستهم، فالكتاب معين ولكنه لا يكفي وحده.

٧- التخصيص: أي: أن يظن ويعتقد أنه مقصود بالخطاب، وأنه خاصٌ به موجهٌ إليه، ليس إلى غيره. فإذا سمع قصص الأولين والأنبياء علم أنه ليس القصد من ذلك هو التسلي بالأحداث والسمر بها، أو الأخذ بروعة القصة وأحداثها دون أن يكون معنياً بما فيها من العبر، وكذلك إذا سمع الوعد والوعيد، يظن نفسه مقصوداً، وإذا سمع قصص الأنبياء عرف أن المقصود منها هو تثبيت الفؤاد، لأن الله قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فيتأمل في أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء، وثباتهم في الدين، وكيف نصرهم الله سبحانه وتعالى.

هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل الله عز وجل، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها، وننفذها، وكان مالك بن دينار يقول: (يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض)[١]. وقال قتادة: (لم يجالس أحدٌ هذا القرآن إلا قام عنه بزيادةٍ أو نقصان) ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٨- ومن التدبر: أنه إذا مرَّ بآية الرحمة سأل، وإذا مر بآية الوعيد استعاذ، كما سبق بيان ذلك، فإذا مرَّ بقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ ﴾ أرعى سمعه لها، لأن ما سيأتي بعدها شروط: ﴿ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، وإذا قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١-٢]، وجاء استثناء من هذا الخسران لفئة من الناس، فمن هؤلاء الذين ينجون من الخسران؟ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ... ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨]، قال الشوكاني: (وقيل «الأماني»: التلاوة) أي: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون تفهم وتدبر[٢]، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[٣]. فهكذا كان منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنى والعمل؛ فلا علم جديد إلا بعد فهم السابق والعمل به.

لما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ وقال: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[٤] فدل على أن

---

(١) تفسير القرطبي: (١٦ / ٣٧).

(٢) تفسير فتح القدير: (١ / ١٠٤).

(٣) تفسير الطبري: (١/ ٨٠).

(٤) رواه الترمذي: (٢٨٧٠).

فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته لا مجرد التلاوة.

روى مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً»(١). وطول المدة ليس عجزاً من عمر رضي الله عنه ولا انشغالاً عن القرآن ؛ فما بقي إلا أنه التدبر.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به. عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به(٢).

وقال ابن القيم: (ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته)(٣). وصدق رضي الله عنهما فالتدبر مفتاح كل خير وهو الذي يحي همة القلب وهي الباعث على العمل والجد والسبق في مرضاة الله.

*** ترديد الآية:**

لقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته أن يردد الآية أحياناً، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح والآية ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ** ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية (٤).

---

(١) تفسير القرطبي: (١ / ٣٠).

(٢) تفسير القرطبي: (١ / ٣٠ – ٣١).

(٣) مدارج السالكين: (١ / ٤٥١).

(٤) سبق تخريجه.

obeikandl.com

وقد ورد هذا عن طائفة من السلف، من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، وترداد الآية يزيد القاريء تدبرا وتمعنا فيها، ويوقفه على معان لم يكن قد وقف عليها من ذي قبل، وهو أدعى لزيادة تأثره بما تلاه من كتاب الله تعالى.

قال النووي في «التبيان»: «وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. وعن عبادة بن حمزة قال دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو، فطال عليّ ذلك فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو، ورويت هذه القصة عن عائشة رحمها الله. وقال أيضا: وردد سعيد بن جبير: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وردد أيضا: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ...﴾ [غافر: ٧٠-٧١] الآية، وردد أيضا: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] رددها إلى السحر»[١].

*** الحق الرابع: حسن العمل والتطبيق.**

ولنعلم أن المسألة ليست مجرد الحفظ وحده، فالذين حفظوا القرآن من الصحابة معروفة أسماؤهم، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين، وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، لأنهم كانوا لا يتجاوزون الآيات إلا بعد العمل بها، يعملون ثم يأخذون أخرى.. وهكذا. كم سنة مكث عمر رضي الله عنه في تعلم البقرة؟ ثمان سنوات وقيل عشر وقيل اثني عشر سنة يتعلم سورة البقرة كما سبق، لأنهم كانوا يسعون إلى فائدة العمل رجاء الأجر والمثوبة والدرجات العلى.

---

(١) التبيان: (٤٨).

قال الآجري في «أخلاق العلماء»: «عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله: من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»**. عن عبد الله بن عكيم قال: سمعت ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - بدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: «والله ما منكم من أحد إلا وإن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة بدر، ثم يقول: يا ابن آدم، ما غرك بي؟ - ثلاث مرار - ماذا أجبت المرسلين؟ كيف عملت فيما علمت؟». قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال: قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟». أخبرنا عمر بن قيس، حدثني عطاء قال: كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين رَحِمَهَا اللَّهُ، فيسألها وتحدثه، فجاء ذات يوم يسألها، فقالت: يا بني، هل عملت بما سمعت؟ فقال: لا والله يا أمه، قالت يا بني: «ففيم تستكثر من حجج الله علينا وعليك؟» ...»[١].

وقال النووي: «وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وعن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار[٢].

وقال الحسن: (نزل القرآن لِيُتَدَبَّر ويعمل به ؛ فاتخذوا تلاوته عملاً)[٣]. أي أن عمل الناس أصبح تلاوة القرآن فقط بلا تدبر ولا عمل به.

وقال ابن القيم: «ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكر

---

(١) انظر أخلاق العلماء: (٦٠ – ٦٦).

(٢) التبيان: (٣١).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم: (١/ ٤٨٥).

obeikandi.com

على معاني آياته ؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه وقواطيع الطريق وآفاته، وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة.

فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما يختلف فيه العالم، وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال، وتعطيه قوة في قلبه وحياة واسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً، فيصير في شأن والناس في شأن آخر ؛ فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها ؛ لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتناديه كلما فترت عزماته: تقدمَ الركبُ، وفاتك الدليل، فاللحاقَ اللحاقَ، والرحيلَ الرحيلَ. فاعتصم بالله واستعن به وقل: حسبي الله ونعم الوكيل»(١).

يقول القرطبي في باب / ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه: «وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا»(٢).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم: (١/ ٤٨٥ – ٤٨٦).

(٢) تفسير القرطبي: (١ / ١٨) باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه.

❊ الحق الخامس: حسن البلاغ والدعوة.

يقول القرطبي في باب / ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه: «قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾. قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيها»[(١)].

أمر الله المؤمنين بالدعوة إلى الله فقال سبحانه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

كانت الوظيفة الأولى للنبي ﷺ تعليم القرآن والدعوة إليه قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

وهي وظيفة الربانيين من أمته: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. قال الرازي: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ «ودلّت الآية على أن العلمَ والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً؛ فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيُه وخاب عملُه»[(٢)].

أخبر الله نبيه ﷺ بأنه مسؤول هو وأمته عن تبليغ القرآن والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

بين الله لنبيه ﷺ طريق الدعوة وأسلوبها بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. وهذه الحكمة أنزلها الله على رسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ [النساء: ١١٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير الرازي: (٤/ ١٢٣).

obeikandl.com

جعل النبي ﷺ تعلم القرآن وتعليمه سبباً في الوصول إلى رتبة الخيرية في هذه الأمة، فقال ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**(١).

أمر النبي ﷺ بتعليم القرآن بقوله: **«بلغوا عني ولو آية»**(٢). ولا يتقالّ الواحد منا أجر تعليم الآية، فقراءة كل حرف بعشر حسنات، ومن علَّم غيره شيئاً من القرآن كان له مثل أجر المتعلم كلما قرأ القرآن أو علمه لغيره، وهكذا يكون هذا التعليم صدقة جارية له، من حياته إلى ما بعد مماته.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص: (٣٢٧٤).

obeikandl.com